السنيور كيارا

لاناتول فرانس

ترجمة احمد شكري طوب صقال

الأستاذ جياكومو تدسكي النابلي ، طبيب معروف في المدينة ، يسكن ، قرب كنيسة العذراء المتوجة ، منزلا طيب الريح فواحا ، تختلف اليه كل صنوف الناس ، ولاسيما الصغار المراتي اللاتي يزاولن بيع حصائد البحر في ساحتنا لوتشيا . انه يبيع العقاقير لكل الأمراض ، ولا يستنكف ان يخلع لك سنا ناخرة . وانه يجدل لأم الجراح في جلود الشاغبين عداة كل مهرجان ، ويصرف ، الى ذلك ، كيف يتكلم لهجة أهل الشواطىء المنطوطة ، ويبث فيها بعض اللاتينية المدرسية ، ليشعر مرضاه الثقة به وهم رقود على ذلك الكرسي الممدود لايصارعه في طوله وغريزته وحريره واتساعه كرسي سواه في اي مرفأ من مرافىء العالم . انه رجل صغير الجرم ، مفعم الوجه ، له عينان صغيرتان حمراوان واثب يتدلى على ثم رقيق الشعيرتين . أما كتفاه المستديرتان وبطنه السكرى البارز وساقاه الدقيقتان ، فانها تذكرنا بهرولات العصور المنصرمة .

تزوج جياكومو ، بعد ان اكتهل ، كيارا مامي الشابة ، ابنة رجل قضى فترة من حياته سجينا ، الا أن أهل نابل أحلوه اجلالا عظيما حينما اصبح حيارا في حي البرجوذي سانتو . فلما مات ، مات ماسوفا عليه منهم جميعا . وأصبحت اشعة الشمس الساطعة التي تكسب أعناب نورى وبرتقال سورنتي لونها الذهبي ، جمال كيارا فرحا واردهر .

وكان الأستاذ جياكومو تدسكي مؤمنا بان زوجته رزقت من النعمة كفاء ماررقت من الجمال . وكان يعلم ، ايضا ،أن عاطفة الغيرة على شرف المرأة تبلغ غايتها في أسر قطاع الطرق . ولكنه ، بعد ، كان طبيبا ، فأدرك ما قد يساور طبيعة النساء من الاضطراب والضعف ، فشعر بشيء من القلق حينما عكف على زيارة منزله أسكانيو رابيزي الميلاني ، حائك ملابس السيدات بميدان الشهداء . وكان اسكانيو شابا وسيما دائم الابتسام . أما كريمة مافي الحياك الباسل المحب لوطنه ، فقد كانت ، ولاريب ، فتاة نابلية صالحة ، أشرف من ان تنسى واجبها بين يدي رجل ميلاني . غير ان أسكانيو كان يفضل زيارة المنزل القريب من كنيسة العذراء

المنوحة في غياب صاحبه الطبيب ، وكانت السنيورا تستقبله راضية غير رفيق أو رقيب .

وفي ذات يوم عاد الطبيب قبل ميعاده ، وفاجأ اسكانيو جالسا عند قدمي كيارا . فلما رأته السنيورا نهضت وبرحت مكانهما تخطر خطوا وئيدا مترنا كأنما هي احدى الآلهة . ونهض اسكانيو قائما على قدميه .

فدنا منه جياكومو تدمسكي ، وقد بدت عليه أطلع أمارات الاهتمام والقلق ، ثم قال :

« أراك مريضا ، ياصديقي . لقد أحسنت بمجيئك الى . فانا طبيب ، على اسعاف الناس وشفاء أسقامهم . ثراك تعالج . لا تنكر ذلك . ان الملك لشديد . وجهك ملتهب .. لا شك أنه صداع ، صداع حاد . كم أحسنت اذ جئت لأراك ! لابد أنك انتظرتني حتى عيل صبرك . نعم ، انه صداع فظيع »

وكان الأستاذ تدمسكي ، على الرغم من كبر سنه ، قويا كثور فحل ، فكان يقول ذلك وهو يدفع اسكانيو أمامه الى حجرة الفحص ، ثم أصحبه يجلسه على ذلك الكرسي الممدود المشهور الذي ظل أربعين عاما يحمل اثقال أمراض نابلي .

وشد عليه بقبضة لا تلين . ثم قال :

« عرفت مابك ، هي مرة دامسة . هي كذلك ! نعم ان الملك منها لشديد »

ثم أخرج من صندوق كلتين كبيرة الحجم لاقفلاع الأسنان . وفتح فم اسكانيو الواسع قسرا ، وأدخل الكلتين ، وقرع قرعة واحدة . فاقتلع بها سنا .

وبينما كان اسكانيو يئن بالفرار ، ويتصدق من فم تسيل منه الدماء ، كان الأستاذ جياكومو تدمسكي يصيح خلفه في شماتة وسرور ، ويقول :

« انهما سنان جميلة ، سنان جميلة جدا ! ... »